من أدب الهند

٢ ـ الأمير خسرو

الشاعر الهندى الكبير

بقلم السيد أبو النصر أحمد الحسينى

الهندى

قبل أن نلقى نظرة فى شعر خُسْرَوْ يجدر بنا أن نبين معنى الشعر والغرض منه فى صوره المختلفة عند كبار المفكرين حتى يتمكن القارىء من الحكم على شعره بما هو خليق به

قال جانسون : إن الشعر هو توحيد اللذة مع الحق ، يدعى فيه الخيال لمساعدة العقل . وعند استيوارت مل : الشعر هو ما يتوقف على الفكر والكلمات التى تجتمع العاطفة فيها من تلقاء نفسها . وقال ميكاليه : إننا نعني بالشعر استعمال الكلمات بطريق أن يوجد الوهم على التخيل ، وهو فن يعمل فيه الشاعر بالكلمات ما يعمله الرسام بالألوان . وقال الأستاذ كورتهوب : إنه فن إيجاد اللذة بالتعبير الصحيح عن الفكر الخيالي والعاطفة فى كلام موزون . وقال الشاعر نظامى العروضى السمرقندى من المسلمين : إنه فن يرتب به الشاعر القضايا الخيالية ويخلطها بالتشبيهات المثمرة ، ليستطيع أن يظهر الصغير كبيراً ، والكبير صغيراً ، أو يظهر الخير فى لباس الشر والشر فى لباس الخير

نستنبط من التعاريف المذكورة المختلفة للشعر ، أن الشعر هو تعبير عاطفى خيالى عن الحياة كما تصوغ نفسها فى فكر المعبر ـ هو معالجة الحقائق والتجارب والمسائل بطريق يسود فيه العنصر الخيالى . والشعر ينقسم إلى قسمين : داخلى أو شخصى ، وخارجى أو غير شخصى . ففى الأول يوجه الشاعر جل عنايته إلى نفسه يستوحى ويستلهم عواطفه الخاصة وتجاربه الذاتية . وفى الثانى يتوجه إلى غيره يعامل العالم الخارج عن نفسه بغير الاستناد إلى ذاته وشخصه . والأول يشمل جميع أقسام الأناشيد والشعر الغنائى مثل الغزل والنسيب وأناشيد الوطنية والروحانية الخ ، كما يشمل الشعر الفلسفى والفكرى . وأما الثانى فينقسم إلى قسمين : قصصى وتمثيلى . فالشعر المختص بالملاحم والفروسية والأساطير من أهم أصناف الشعر القصصى . والتمثيلى هو ما يقدم لك صوراً واضحة لسجايا الأشخاص المختلفة ، وأخلاقهم فى حكاية تُمثل

فى ضوء هذه التعاريف للشعر وأصنافه ونواحيه المترامية الأطراف حين نلقى نظرة على شعر خسرو نجد أن عبقريته الشاملة لم تترك نوعاً من أنواعه ولا ناحية من نواحيه إلا باشرتها بالاجادة والابداع . فهو قد أتقن جميع أنواع الشعر اتقاناً حقيقياً . وأنتجت قريحته فى جميع نواحى الشعر انتاجاً نال استحسان كبار الشعراء والنوابغ فى زمنه وفيما بعد . وهذه مزية لم توجد فى غيره . فان غيره من شعراء اللغة الفارسية لم يقدر أحد منهم لا قبله ولا بعده ، ولا فى الهند ولا فى بلاد فارس ، أن يقول الشعر ويحاكى إلهامه الشعرى فى أكثر من صورة واحدة أو صورتين من أنواع الشعر

فملوك الشعر الفارسى يعدون ستة : فردوسى ، وسعدى ، وأنورى وحافظ ، وعرفى ، ونظيرى . ولكن مملكة كل منهم لم تتعد حدود نوع واحد من أنواع الشعر . فالفردوسى لم يقدر أن يتجاوز حدود المثنوى ، وتصنيفه فيه هو الملحمة الكبيرة المسماة شاهنامه ، وقد نشر ترجمتها بالعربية صديقنا الأستاذ عبد الوهاب عزام . وسعدى كان ملك الغزل ، ولكنه لم يقدر أن يجيد القصيدة ولا المثنوى ، كما أن براعة أنورى كانت محدودة فى القصيدة ، ولم تكن قادرة على الغزل المثنوى . كذلك حافظ ونظيرى وعرفى كانوا نوابغ فى الغزل ، وغير قادرين على أنواع الشعر الأخرى . ولكن ذكاء خسرو الجامع المتسع لم يقتصر على واحد منها بل تناول « غزلاً » كما تناول « مثنوياً » وعالج « قصيدة » كما عالج « رباعياً » بغاية الاجادة والاتقان فى جميع نواحيها ، حتى لم يترك الأصناف الصغيرة الأخرى من الشعر الفارسى مثل « مستزاد » و « صنايع » و « بدايع[1] » هذا من حيث أنواع الشعر ، وأما من حيث كمية الانتاج ، فنجد أنه لا يوجد له ند فى ذلك أيضاً . فان عدد الأبيات للفردوسى لم يزد على ثمانين ألفا ، كما أن عدد الأبيات للشاعر الفارسى صائب لم يزد على ألف ، ولكن ما جادت به قريحة خسرو يبلغ بضع مائة ألف بيت . فقد ذكر غير واحد من المؤرخين فى

(١) إن «غزل» و «قصيدة» و «مثنوى» و «رباعى» و «مستزاد» و «صنايع» و «بدايع» كلها أنواع الشعر الفارسى ، فمن أراد التفصيل فليراجع تاريخ الأدب الفارسى للأستاذ براون المجلد الثانى

كتبهم أن عدد الأبيات الفارسية له يتراوح بين ثلثمائة وأربعمائة ألف . وفى بعض الروايات ستمائة ألف

كان خسرو يجيد بضع لغات إجادة تامة . فكان يتقن التركية لأنه كان من أصل تركى . والفارسية لأنها كانت لغة دينه ، والأردية لأنها كانت اللغة الشائعة بين الناس . ولم يكن خسرو جاهلا السنسكريتية لغة جيرانه الوثنيين المقدسة . فقد اعترف فى كتابه « نه سبهر » بكل تواضع حيث قال : « عندى إلمام بتلك اللغة أيضاً » . وعلى ذلك لم يكن خسرو شاعراً بالفارسية فقط ، بل باللغات الأخرى أيضاً . بيد أن أكثر آثاره قد ضاع ولم يبق إلا القليل الذى بالفارسية والاردية

يعد خسرو من مؤتنف شعراء اللغة الاردية ، لأنها كانت حينئذ فى دور التكوين . فقد غذاها بالأناشيد والنكت والطرائف والكتب الدراسية للأطفال شعراً ، ولا تزال شائعة بين الهنود وإن مر عليها أكثر من ستة قرون . وقد ذكر المؤرخ أوحدى فى كتابه « تذكره معرفت » أن إنتاج خسرو فى اللغة الاردية يساوى إنتاجه فى الفارسية . فان صح ذلك فمن الأسف أن لم يبق من ذلك الأثر العظيم الا نزر يسير

لم يكن خسرو شاعراً فقط ، بل كان ناثراً كذلك وان قل إنتاجه فى النثر بالنظر إلى إنتاجه فى الشعر ، فله غير واحد من الكتب الضخمة نثراً . اعترف أهل الفن بطول باعه فيه أيضاً . وجميع منظوماته باللغة الفارسية التى توجد فى الهند هى كما يلى : —

١ — من نوع المثنوى

(١) مطلع الأنوار : نظمه فى مدة أسبوعين فى سنة ٦٩٨ هجرية وهو فى التصوف ، وقد نهج فيه منهج نظامى (الشاعر الفارسى الشهير) فى كتابه « مخزن الأسرار » ويحتوى على ٣٣١٠ أبيات

(٢) شيرين وخسرو : نظمه فى نفس سنة ٦٩٨ هجرية وهو يحتوى على حكاية عشق خسرو[1] لشيرين وكلاهما من أبطال الحب فى الأدب الفارسى مثل مجنون وليلى فى الأدب العربى . وعدد الأبيات فيه ٤١٢٤ بيتاً

(٣) ليلى ومجنون : صنفه فى نفس السنة المذكورة وهو يشتمل على ٢٦٦٠ بيتاً

(٤) آيئن اسكندرى : صنفه فى سنة ٦٩٩ هجرية ونهج فيه منهج « سكندرنامه » للنظامى وعدد أبياته ٤٤٥٠ بيتاً

(٥) هشت بهشت : أتمه فى أوائل سنة ٧٠١ هجرية ونهج فيه منهج « هفت پيكر » للنظامى ، وعدد الأبيات فيه ٣٣٨٢ بيتاً

وهذه الكتب الخمسة المذكورة يقال لها « پنج گنج » أو « خمسة خسرو » تدل على سرعة انتاج المؤلف إذ هى تحتوى على ١٧٩٢٦ بيتاً وقد صنفها فى سنتين ونصف سنة . وللنظامى أيضاً خمسة كتب فى نفس الموضوع ، ولكن أكثر الشعراء رجحوا « خمسة خسرو » على « خمسة نظامى » . ومنهم عبد الرحمن جامى فانه قد رجحه فى كتابه « بهارستان »

(٦) قران السعدين : صنفه فى سنة ٦٨٨ هجرية حينما كانت سنه ٣٦ سنة عن طلب السلطان معزالدين كيقباد ، وهو يحتوى على حكاية مقابلة كيقباد لأبيه بغراخان مسالما مع خروجه له محارباً

(٧) تاج الفتوح : ملحمة تحتوى على حكاية فتوحات السلطان جلال الدين خلجى صنفها فى سنة ٨٩ ـ ٦٨٩ هجرية

(٨) نه سبهر (أى الأفلاك التسعة) صنفه فى سنة ٧١٨ للسلطان قطب الدين خلجى ، فسر به كثيراً وأنعم عليه بفضة تساوى وزن الفيل كما قيل

(٩) دول رانى خضرخانى : وهو يحتوى على بيان حب خضرخان بن السلطان علاء الدين لدول رانى بنت راجا كجرات وانتهائه بالزواج

٢ — من نوع الغزل

(١٠) تحفة الصغر : يحتوى على شعره الذى قاله بين ١٦ و ١٩ من سنه ، ويشمل الغزل والنسيب

(١١) وسط الحياة : يحتوى على شعره الذى قاله بين ٢٠ و ٣٣ من سنه

(١٢) غرة الكمال : يحتوى على شعره الذى قاله بين ٣٤ و ٤٤ من سنه ، وقد كتب فى مقدمته ترجمة حياته بالايجاز

٣ — من نوع القصائد

(١٣) بقية نقية : يحتوى على شعره إلى سنة ٧١٥ هجرية وفيه رثاء السلطان علاء الدين خلجى أيضاً

(١٤) نهاية الكمال : يحتوى على شعره فى آخر سنه ، وفيه رثاء السلطان قطب الدين خلجى وقصيدة فى مدح ولى عهده

(١٥) جواهر البحر : لم أره

(١٦) خزائن الفتوح : صنفه للسلطان علاء الدين خلجى

(١) ان خسرو هذا غير شاعرنا المترجم هنا